

من كتاب العين إلى معجم الأفعال المتعدية واللازمة في القرآن الكريم^١

سيدرضا سليمان زاده نجفي^٢

الملخص

للألفاظ أهمية قصوى في حياة الإنسان؛ لأنها تعبر عما في فؤاده، وتترجم المعاني والمشاعر التي بداخله، وهي إلى جانب ذلك وسيلة لمخاطبة الآخرين. وكلما أتقن الخطيب أو المتحدث ألفاظه واختارها بدقة، كان تأثيره في المتلقين أبلغ. والكلمات في بادئ أمرها كانت دائرة على السنة الناطقين بها، ثم سجّلت في بطون الكتب، والعرب لا يعرف التأليف المعجمي قبل العصر العباسي، لانتشار الأمية بينهم. ويبدو أنّ الباعث إلى جمع اللغة وتأليف المعاجم هو الحاجة إلى تفسير ما استغلقت من ألفاظ القرآن الكريم، ورغبتهم في حراسة كتابهم من أن يقتحمه خطأ في النطق أو الفهم. فرحلوا إلى البادية ودوّنوا في البداية كل ما سمعوا من الألفاظ، ثم جعلوها على الترتيب الموضوعي. ثمّ ألّف الخليل معجمه على ترتيب الحروف، وبذلك ظهرت المعاجم اللغوية العامة والتخصصية. ونظراً إلى ما للقرآن من أهمية عند المسلمين، راحوا يعتنون بألفاظه وآياته ويتدبرونها، لأنها تحمل معانيه. فإذا ما أشكل عليهم لفظ أو غمض عليهم معنى، كانوا يسألون النبي ﷺ أو الصحابة. وقد عني العلماء بتدوين كتب غريب القرآن ومعاجم تخصصية أخرى بشأن مفردات القرآن الكريم. ونحن قد تحدّثنا بإيجاز كامل في هذا البحث المتواضع عن تطور المعاجم اللغوية والمعاجم القرآنية من كتاب العين إلى معجم الأفعال المتعدية واللازمة في القرآن الكريم.

المفردات الرئيسية: المعجم، الفعل، المتعدي، اللازم

المقدمة

تمرّ اللغة عادة بمرحلة النطق قبل مرحلة التدوين؛ أي: إنّها تكون في بادئ أمرها دائرة على السنة المتكلمين بها لا مسجّلة في بطون الكتب. فكم من لغة نشأت وترعرعت، ثم اندثرت قبل أن يعرف الإنسان الكتابة؛ كاللغة السامية الأمّ واللغة الآرامية واللغة الأكادية!

فاللغة - أي لغة كانت - في بادئ أمرها كانت دائرة على السنة الناطقين بها، ثم سجّلت في بطون الكتب. والأصل أن تكون اللغة مفهومة من الناطقين بها، لكنّها باعتبارها أداة للفكر، تتطور بتطور الفكر؛ فالإنسان لا يستطيع أن يحفظ كلّ الثروة اللغوية

١. تاريخ التسلم: ١٣٨٧/١٠/٣٠ هـ. ش (٢٠٠٩/١/١٩م)؛ تاريخ القبول: ١٣٨٧/٤/١ هـ. ش (٢٠٠٩/٦/٢٢م).

* أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية في جامعة إصفهان.

مهما أوتي من حدة الذكاء وقوة الذاكرة وسعة الخيال؛ لذلك يصطدم أحياناً بكلمات لا يعرف معناها بدقة ووضوح. من هنا

ندرك أهمية المعجم كمرجع للباحث عن معاني الألفاظ التي استغلقت عليه (إميل بديع يعقوب، ١٩٩٢م، ص ٢٣).

ولم يكن يعرف العرب التأليف المعجمي قبل العصر العباسي؛ لانتشار الأمية بينهم، وطبيعة حياتهم الاجتماعية القائمة على الغزو والانتقال من مكان إلى آخر، وإتقانهم للغتهم؛ فقد كانت العربية عندهم لسان المحادثة والخطابة والشعر، ولكن الفكرة المعجمية قد بدت تراودهم منذ أن بدأوا يشرحون القرآن؛ فإنهم كانوا يبحثون عن معاني الكلمات الصعبة عندهم مثل: "أب" و"فاطر" و"وزر"؛ وقد روي عن ابن عباس أنه قال: «إذا سألتموني عن غريب القرآن، فالتمسوه في الشعر؛ فإن الشعر ديوان العرب» (السيوطي، ١٣٩٤هـ، ص ١١٩). وقد روي عنه أيضاً أنه قال: «ما كنت أعرف معنى "وزر" في القرآن الكريم، حتى شاهدت طفلاً يلعب بالضبّ الذي يفرّ منه، حتى جعله في مضيق، قال له: "لا وزر"...» (السابق).

ويبدو أنّ الباعث على جمع اللغة وتأليف المعاجم هو الحاجة إلى تفسير ما استغلق من ألفاظ القرآن الكريم، ورغبتهم في حراسة كتابهم من أن يقتحمه خطأ في النطق أو الفهم.

كيفية جمع اللغة

إنّ اللغويين اعتمدوا في جمع اللغة على عنصرين: الأول عنصر الزمان والآخر عنصر المكان. فعلى الأول حصروا التدوين في أدب الجاهلية وصدر الإسلام حتى منتصف القرن الثاني الهجري تقريباً، وعلى الثاني جعلوا المدون في البدو دون الحضرة وسكان أطراف الجزيرة؛ فخصّوا التدوين في قبائل قيس عيلان وتميم وأسد وهذيل وقريش وبعض كنانة وبعض الطائيين، ومنعوا الأخذ عن لحم وجذام - جيران مصر والقبط - وقضاة وغسان وإباد (جيران أهل الشام) و... .

ما هو المعجم؟

المعجم كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها على أن تكون المواد مرتبة ترتيباً خاصاً، إمّا على حروف الهجاء أو الموضوع. والمعجم الكامل هو الذي يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد تُبين مواضع استعمالها.

وجه تسمية المعجم

يقول ابن منظور (د.ت): «الأعجم هو الذي لا يُفصح ولا يبين كلامه وإن كان عربي النسب. العجمي هو الذي من جنس العجم، أفصح أولم يُفصح». (مادة «ع ج م»).

يقول ابن جني: «اعلم أنّ "ع ج م" إنما وقعت في كلام العرب للإبهام والإخفاء وضد البيان والافصاح». (ابن جني، ١٤٠٥هـ، ص ٤٠). هذه المعاني لا تُساير المقصود من المعجم؛ إذ تدور حول الإبهام والإخفاء، بينما نستعمل المعاجم لإزالة غموض الكلمات والعبارات وتبيين مدلولاتها. فأين الرابط المعنوي بين المعجم الذي هو أداة لإزالة غموض الكلمات وإبهامها، وبين مادة «ع ج م» التي وقعت في كلام العرب للإبهام والإخفاء؟!

لوراجعنا معاني باب الإفعال، لوجدنا أن الصرفيين قد ذكروا لهذا الباب أكثر من أربعة عشر معنى؛ منها: الإزالة أو السلب، نحو: أشكلت الكتاب؛ أي: أزلت إشكاله، وأشكيت زيدا؛ أي: أزلت شكواه؛ وإعجام الكتاب يعني نَقْطُهُ وإزالة استعجابه، والإعجام هو تقييد الحروف للتمييز بين المتشابه منها في الشكل (نجفي، سيدرضا، ١٣٨٤ هـ. ش، ص ٣٣).

ومن هذه الدلالة جاءت تسمية الحروف الهجائية بحروف المعجم، نظراً لكون النقط الموجودة في كثير منها يُزيل التباسها؛ ومن هذه الدلالة أيضاً جاءت تسمية الكتاب الذي يزيل التباس معاني الكلمات بعضها ببعض وغموضها بالمعجم. وبعبارة أخرى، المعجم هو ما أزيل عنه الغموض والإبهام.

ولا نعلم بالدقة متى أطلقت كلمة «المعجم» بالمعنى المتعارف عليه اليوم، ولا اسم من أطلقها لأول مرة، ولا الكتاب الرائد في حمل هذه الكلمة في عنوانه؛ لضياح كثير من كتبنا وآثارنا القديمة.

مراحل جمع اللغة

المراحل التي قطعها جمع اللغة ثلاث:

المرحلة الأولى: جُمعت الكلمات حيثما اتفق؛ فالعالم يرحل إلى البادية يسمع كلمة في المطر ويسمع كلمة في الشجر إلى غير ذلك، فيدون ذلك حسبما سمع من غير ترتيب إلا ترتيب السماع؛ كأبي إسحاق الحضرمي، عيسى بن عمرو وأبي عمرو بن العلاء.

المرحلة الثانية: في هذه المرحلة جُمعت الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد، ونسَمي كتب هذه المرحلة بكتب الموضوعات؛ منها: كتابي المطر والدين لأبي زيد، وكتاب النخل والخيل والوحوش للأصمعي.

المرحلة الثالثة: تمّ وضع المعاجم على نمط خاص في الترتيب ليرجع إليها من أراد البحث عن معنى كلمة. وأول من ألف معجماً هو خليل بن أحمد الفراهيدي، ثم توالى بعدها معاجم كثيرة، بعضها ينهج منهجه كاملاً، وبعضها يخالفه في أمور.

مراحل تطور المعجم العربي

إذا تتبعنا مراحل تطور المعجم العربي، وجدنا أنه مرّ في خمس مراحل، وهي:

- ١- مرحلة النظام الصوتي (خليل بن أحمد)؛
- ٢- مرحلة النظام الألفبائي الخاص؛
- ٣- مرحلة نظام القافية الذي ابتدعه الجوهري؛
- ٤- مرحلة النظام الألفبائي العادي؛
- ٥- مرحلة الألفبائي النطقي.

أنواع المعاجم

١- المعاجم اللغوية: وهي التي تشرح ألفاظ اللغة وكيفية ورودها في الاستعمال، بعد أن تُرتبها وفق نمط معين من الترتيب، لكي يسهل على الباحث العودة إليها لمعرفة ما استغلق من معانيها.

- ٢- معاجم الترجمة أو المعاجم المزدوجة أو الثنائية اللغة: وهي التي تجمع ألفاظ لغة أجنبية لتشرحها واحداً واحداً، وذلك بوضع كلمة أمام كل لفظة أجنبية - مما يعادلها معنىً - من ألفاظ اللغة القومية وتعابيرها.
- وهذا النوع هو من أقدم أنواع المعاجم؛ إذ استخدمه الساميون في العراق إبان الألف الثالث ق. م، كما أنه أهمها وأزومها لمقتضيات الحضارة، وبخاصة في عصرنا الحاضر بالنسبة للتجارة والأعمال المصرفية والعلاقات الدولية، مما جعل الدقة في الترجمة أمراً لا غنى عنه، وأصبح الخلاف على كلمة في اتفاق أو معاهدة أو إعلان أو بيان قد يجرّ إلى عواقب وخيمة.
- ويلحق بهذا النوع من المعاجم، المعاجم المتعددة اللغات التي تعطي المعنى الواحد بألفاظ عدة لغات في آن واحد.
- ٣- المعاجم الموضوعية أو المعنوية: وهي التي تُرتب الألفاظ حسب معانيها أو موضوعاتها. ففي مادة "نبات" مثلاً تضع كل مسميات النبات وما يتعلق به، وفي مادة "لون" نجد كل ما تضمّنته الكلمة من أسماء الألوان بدرجاتها المختلفة.
- ومن المعاجم العربية الموضوعية القديمة: *المخصّص لابن سيدة الأندلسي الضير*، فهو قام بترتيب الألفاظ التي جمعها بحسب معناها لا بحسب لفظها؛ فعلى الباحث عن لفظة أن يقرأ الفهرس الموضوعي العام للكتاب كلّ غالباً (وللكتاب سبعة عشر جزء).
- ٤- المعاجم الاشتقاقية أو التأصيلية: وهي التي تبحث عن أصول ألفاظ اللغة، فتدلّنا على إن كانت الكلمة عربية الأصل أم فارسية أم يونانية... إلخ.
- ٥- المعاجم التطورية: وهي التي تهتم بالبحث عن أصل معنى اللفظ لا اللفظ نفسه، ثم تقوم بتتبع مراحل تطور هذا المعنى عبر العصور؛ فهي تدرس مثلاً ماذا كانت تعني لفظة "أدب" في الجاهلية، وكيف تطوّر هذا المعنى حتى اليوم عبر مروره بالأعصر الأدبية المختلفة.
- ٦- معاجم التخصص: وهي التي تجمع ألفاظ علم معين ومصطلحاته أو فنّ ما، ثم تشرح كلّ لفظ أو مصطلح حسب استعمال أهله ومتخصصيه له. فهناك معاجم للزراعة وأخرى للطب وثالثة للموسيقى ورابعة لعلم النفس؛ ككتاب *حياة الحيوان للدميري* الذي جمع فيه أسماء الحيوان والحشرات والزواحف والطيور معرّفاً بها وبخصائص كلّ منها على طريقة عصره.
- ٧- دوائر المعارف أو المعلّّات: وهي نوع من أنواع المعاجم، لكنها تختلف عنها من حيث إنها سجلّ للعلوم والفنون وغيرها من مظاهر النشاط العقلي للإنسان. فإن كان المعجم يفسر مادة "النحو" مثلاً بإظهار معانيها واشتقاقها، فإن دائرة المعارف أو الموسوعة تعرّف بعلم النحو ونشأته وتطوره وأهم رجاله ومصادره ومراجعته. فهي إذن مرجع للتعريف بالأعلام والشعوب والبلدان والوقائع الحربية. وهناك دوائر معارف متخصصة كدائرة المعارف الإسلامية ودائرة المعارف الطبية.
- ٨- المعاجم المصوّرة: لا شك في أن الصور تساعد على توضيح معاني الحسيات التي لا تقع تحت نظر المرء عادة. واستخدام الصور في المعاجم بدأ مع ظهور المنجد في السنة ١٩٠٨ م.
- وتنقسم المعاجم من حيث الترتيب إلى ثلاثة أقسام:
- ألف. معاجم رُتبت فيها الكلمات حسب مخارج الحروف؛ مثل: *كتاب العين للخليل بن أحمد*، و*تهذيب اللغة للأزهري*، و*المحكم لابن سيدة*.
- ب. معاجم رُتبت الكلمات فيها حسب الحروف الهجائية، إما على أساس الحرف الأول للكلمة، أو الحرف الأخير لها؛ كالصاحح للجوهري، و*لسان العرب لابن منظور*، و*القاموس المحيط للفيروزآبادي*، و*أساس البلاغة للزمخشري*.

ج. معاجم عصرية مرتبة ترتيباً سهلاً استعمالها والرجوع إليها، فتركوا ترتيب القافية وأحلّوا محلّها الألفاظ حسب حروفها الأصلية؛ أي: الفاء والعين واللام.

لمحة تاريخية عن المعاجم القرآنية

أقبل المسلمون على القرآن الكريم بشغف منذ صدر الإسلام، يتدبرون آياته، ويتفهمون معانيه التي تحتوي عليها ألفاظه، فحفظوه عن ظهر قلب، وجمعوه في مصحف، وكتبوا في تفسيره وإعجازه وبلاغته. وعكف العلماء على تبيان معاني غريب مفرداته، ووضعوا فهارس ومعاجم لألفاظه، فصنّفوا الكتب في مفردات غريب القرآن، ولا تزال مسيرة التأليف والإعداد في هذا المجال مستمرة حتى أيامنا هذه؛ لأن كلمات الله تعالى لا تنفذ معانيها، ولأن عطاءات القرآن متعددة ومتجددة، وسيظل الإنسان يجد في آياته مَعِيناً لا ينضب لبحثه وفكره وعقله وحياته. وأمّا الألفاظ فلها أهميتها في حياة الإنسان؛ لأنها تعبّر عما في فؤاده، وترجم المعاني والمشاعر التي بداخله، وهي إلى جانب ذلك وسيلة لمخاطبة الآخرين، وكلما أتقن الخطيب أو المتحدث ألفاظه واختارها بدقة، كان تأثيره في المتلقين أبلغ. إن الألفاظ هي أوعية المعاني والخازن لها، والمقدمة على المعاني. ولأهمية الألفاظ العربية اشترط العلماء في الفقيه معرفتها والإلمام بها، حتى لا غنى لأحد منهم عنها؛ وذلك أن القرآن أنزل بلغة العرب، ورسول الله ﷺ عربي. فمن أراد معرفة ما في كتاب الله ﷻ وما في سنة رسوله ﷺ من كلّ كلمة عربية أو نظم عجيب، لم يجد من العلم باللغة بدءاً.

غريب القرآن

ونظراً إلى ما للقرآن من الأهمية عند المسلمين، راحوا يعتنون بألفاظه وآياته ويتدبرونها؛ لأنها تحمل معانيه. قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص ٣٨: ٢٩). وكانوا يسألون الرسول الكريم ﷺ إذا ما أشكل عليهم لفظ أو غمض عليهم معنى.

وبعد أن انتقل الرسول الكريم ﷺ إلى الرفيق الأعلى، كان المسلمون يتجهون إلى كبار الصحابة والتابعين يستفسرون عن ألفاظ القرآن.

وأول من تحدث عن غريب القرآن هو ابن عباس، وطبع له كتاب في غريب القرآن؛ كما أن مسائل نافع بن الأزرق - المتوفى سنة ٦٥ هـ -، قد أثبتت في الإتيقان للسيوطي، وفي إعجاز القرآن لعائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، وكذلك ذكرت في كتب تراثية أخرى.

والمؤلف الثاني في غريب القرآن هو لأبي سعيد أبان بن تغلب بن رباح البكري المتوفى سنة ١٤١ هـ، وهو دون شواهد من الشعر. هذا ما يجعلنا نقول: إن بداية تدوين غريب القرآن في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة، واستمر إلى العصر الحاضر. وسنكتفي بذكر نماذج للتطور في تأليف كتب الغريب. منها: كتاب نزهة القلوب في تفسير علماء الغيوب لأبي بكر محمد بن عزيز بن أحمد السجستاني المتوفى سنة ٣٣٠ هـ، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢ هـ، وتحفة الأريب بما في القرآن من الغريب لأثير الدين أبي حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ، وغريب القرآن لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي المتوفى نحو سنة ٦٦٦ هـ.

معاجم تخصصية لألفاظ القرآن

إن المعاجم السابقة هي فهارس عامة تشمل معظم ألفاظ القرآن - إن لم نقل جميعها - ؛ فإذا ما أراد باحث أن يكتب عن النبات في القرآن، فما عليه إلا أن يتتبع أسماء النبات وصفاته في القرآن، ويكتب بحثه مستعيناً بفهارس القرآن ومعاجمه، مما حدا ببعض العلماء والباحثين على أن يصنّفوا معاجم تخصصية تجمع ألفاظ القرآن في موضوع واحد، وكان من الرّواد في هذا المجال الباحث مختار فوزي النعال الذي صدر له معجم ألفاظ النبات في القرآن.

ثم أُلّفت عدة معاجم تخصصية أخرى ؛ منها: معجم ألفاظ الإنسان في القرآن، ومعجم ألفاظ الحيوان في القرآن، ومعجم ألفاظ الزمان في القرآن، ومعجم ألفاظ الكون الواردة في القرآن، ومعجم ألفاظ المصنوعات في القرآن، ومعجم ألفاظ المكان في القرآن، ومعجم ألفاظ القبائل والأمم والشعوب في القرآن، ومعجم ألفاظ الأخلاق في القرآن، ومعجم الألفاظ التجارية والمالية في القرآن. بالإضافة لما سبق، وضع العلماء معاجم تشمل موضوعات تخصصية أخرى ؛ مثل الناحية العسكرية. ذلك نحو كتاب المصطلحات العسكرية في القرآن لمحمود شيت خطاب عضو مجمع اللغة العربية في العراق.

ومن المعاجم التخصصية التي تعنى بجانب خاص من مفردات قرآنية معجم الأفعال المتعدية واللازمة في القرآن الكريم الذي اهتمت بإصداره دائرة النشر العلمي بجامعة إصفهان.

وقبل التعرّف على هذا المعجم، جدير بنا أن نتحدث عن ظاهرة التعدية واللزوم في اللغة العربية بالاختصار.

الفعل المتعدي

المتعدي لغةً: المتعدي اسم فاعل من الفعل «تعدي» بمعنى «تجاوز». قال ابن منظور (د. ت): «عدا الأمر يعدوه وتعدها - كلاهما - : تجاوزه...؛ وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْتَدُوهُ﴾ [البقرة ٢: ٢٢٩] ؛ أي: فلا تجاوزوها إلى غيرها». (مادة «ع د ا»).

المتعدي اصطلاحاً: «هو الفعل الذي يتعدى الفاعل إلى المفعول» (سيبويه، د. ت، ص ٢٤).

وقبل أن يستقر استعمال لفظ «المتعدي» عنواناً للمعنى الاصطلاحي النحوي، عبّر سيبويه المتوفى سنة ١٨٠ هـ والمبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ عنه (المبرد، ب. د. ت، ص ٩١). واستعمل المبرد أيضاً عنوان «المتعدي» (أ. د. ت، ص ١٠٤)، وفي هذا، معنى التجاوز والتأثير الإعرابي.

واستعمل الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ وابن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠ هـ عنوان «الواقع» (الفراء، ١٤٠٧ هـ، ص ١٧-١٦، ٢١، ٤٠).

واستعمل ابن السراج (د. ت) المتوفى سنة ٣١٦ هـ عنوان «المتعدي» (ص ٣٥-٣٤ و ١٣٠)، وعنوان «الواصل» (د. ت، ص ٢٠٢).

واستعمل بعض النحاة عنوان «المجاوز» (ابن مالك، ١٩٦٧ م، ص ٨٣).

ولعلّ أوّل من عرف المتعدي هو ابن السراج (د. ت) بقوله: «إنه الفعل الذي «يلقي شيئاً ويؤثر فيه» (ص ٢٠٢).

ثمّ عرفه ابن الخشاب (١٩٧٢ م) المتوفى سنة ٥١٦ هـ بأنه: «ما تجاوز الفاعل إلى المفعول به» (ص ١٥١)، مصرّحاً بأنه يريد بذلك

تعريف الفعل المتعدي بنفسه (بلا واسطة) ؛ لئلا يشكل عليه بأنّ الأفعال اللازمة تتجاوز فاعلها إلى المفعول به بواسطة الحرف.

وعرفه الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ بقوله: الفعل «المتعدي ما كان له مفعول به» (الأردبيلي، ص ١٤٥).

وقال ابن مالك (١٩٦٧م): «هو ما اقتضى اسماً مصوغاً له باطراد اسم مفعول تام» (ص ٨٣)، «وقوله: باطراد، احترز به من "ممرور" ونحوه؛ فإنه إن قيل، فللضرورة وليس مطرداً، [وقوله:] تام، احترز به من نحو "مذهول عنه" و"مطموع فيه"؛ فإن كلاً منهما اسم مفعول، لكنه غير تام؛ لافتقاره إلى حرف الجر». (ابن عقيل، ١٩٨٠م، ص ٥٣٤).

وهناك تعريف آخر بـ"العلامة" لابن مالك أيضاً ذكره في ألفيته، وذلك في قوله:

علامة الفعل المعدى أن تصل ها غير مصدر به نحو عمل

«واحترز بهاء غير المصدر عن هاء المصدر؛ فإنها تتصل بالمعدى واللازم» (ابن عقيل، ١٩٨٠م، ص ٥٣٤).

وعرفه ابن عقيل (١٩٨٠م) - المتوفى سنة ٦٧٢ هـ - بأنه: الفعل «الذي يصل إلى مفعوله بغير حرف الجر» (ص ٥٣٣)، محتزماً بعبارة «بغير حرف الجر» من دخول ما يتعدى من الأفعال اللازمة إلى المفعول بواسطة الحرف؛ نحو: "ذهب به" و"غضب عليه". ولم يأت النحاة المتأخرون بتعريف جديد للفعل المتعدى.

الفعل اللازم لغة واصطلاحاً

اللازم في اللغة: اسم فاعل من الفعل «لَزِمَ الشيء» ، إذا لم يفارقه. قال ابن فارس: «اللام والزاي والميم أصل واحد صحيح يدل على مصاحبة الشيء بالشيء دائماً» (معجم مقاييس اللغة، مادة «لزم»)

وقال ابن منظور: «لَزِمَ الشيءَ يَلْزِمُهُ لَزْماً وَلِزْوماً... وَرَجُلٌ لَزَمَهُ يَلْزِمُ الشيءَ فلا يفارقه» (مادة «لزم»).

وعبر سيبويه عن الفعل اللازم بـ: «الفعل الذي لا يتعدى الفاعل إلى مفعول» (د. ت، ص ٣٣).

وعبر عنه المبرد وابن السراج وأبو علي الفارسي وغيرهم بـ: «الفعل غير المتعدى» (مبرد، ج. د. ت، ص ٥٠).

واقصر بعض النحاة على تعريف الفعل المتعدى وقالوا: إن الفعل اللازم على خلافه، ولذلك لم نورد تعريفاتهم محصورة بين أقواس، تنبهاً على كونها مفهومة من تعريفهم للفعل المتعدى، وليست صادرة بألفاظها ممن تنسب إليه.

وأما التعريف الاصطلاحي للفعل اللازم، فلعل أول من طرحه ابن السراج (د. ت) بقوله: إنه الفعل الذي «لا يلاقي شيئاً ولا يؤثر فيه» (ص ٢٠٢).

وعرفه ابن الحاجب (١٤٠٤هـ) المتوفى سنة ٦٤٦ هـ بأنه: «ما لا يتوقف تعقله على متعلق» (ص ٣٦٠).

وعرفه ابن عصفور (١٤٠٣هـ) المتوفى سنة ٦٦٩ هـ بأنه: «ما لا يُبنى منه اسم مفعول» (ص ١١٤).

وأضاف ابن مالك (١٩٦٧م) قيداً لهذا الحد، فقال: «الفعل اللازم ما لا يصلح أن يُصاغ منه اسم مفعول تام» (ص ٨٣)، واحترز بذلك من نحو "ذهل" و"طمع"؛ إذ يصاغ من كل منهما اسم مفعول، فيقال: "مذهول عنه" و"مطموع فيه"، لكنه غير تام؛ لافتقاره إلى حرف الجر.

ولابن مالك تعريف آخر للفعل اللازم، ذكره في ألفيته بقوله:

علامة الفعل المعدى أن تصل ها غير مصدر به نحو عمل

ولازم غير المعدى وحتم

ومنه يفهم أن الفعل اللازم هو: ما لا يصح اتصال ضمير غير المصدر به؛ نحو: خرج؛ فإنه لا يقال: زيدٌ خرجَ عمرو، بخلاف الفعل المتعدى؛ نحو: ضرب؛ فإنه يصح فيه ذلك، فيقال: زيدٌ ضربَ عمرو.

ولا نجد بعد هذا تعريفاً جديداً يقدّمه النحاة المتأخرون للفعل اللازم، بل نجد كلاً منهم اقتصر على اختيار أحد التعريفات التي طرحها المتقدمون.

معجم الأفعال المتعدية واللازمة في القرآن الكريم

التعرّف على تعدية الأفعال ولزومها في العربية من المباحث الأصلية في علم الصرف، وكما أشرنا آنفاً، إن الصرفيين قد عُنوا بتعريف التعدية واللزوم وأقسامهما، وعلامة كل منهما في كتبهم الصرفية والنحوية في بعض الأحيان. وأمّا تعيين نوع التعدية واللزوم في الأفعال القرآنية في مجموعة كاملة، فلم يُعَنَ به إلا أننا قد نرى أنّ أصحاب المعاجم اللغوية قد ذكروا - إضافة إلى معاني المفردات وهجاء الكلمات وضبطها وصحة رسمها الكتابي ومعناها واشتقاقها - نوع تعدية الفعل دون تصريح.

فتأليف كتاب جمع الأفعال القرآنية محدداً نوع تعديتها ولزومها مستشهداً بالأمثلة القرآنية من أمّنات باحثي اللغة العربية، وطلاب أقسام اللغة العربية، وكلّ المعنّيين بالعلوم القرآنية؛ لأن معرفة تعدية الأفعال ولزومها تؤثر مباشرةً في فهم المقصود، وتساعد القارئ على الفهم الصحيح، والمترجم على النقل السليم.

فقد اهتم الكاتب بإعداد موسوعة لغوية تنسجم مع روح القراء ومشاعرهم في القرن الحادي والعشرين، والتي تضم كلّ الأفعال القرآنية بين دفتيها مع شرحها باللغة الفارسية، والمشتقات المستعملة منها في القرآن الكريم، ثم حدّدت نوع تعدية الأفعال ولزومها استناداً بأي القرآن الحكيم.

وكان إعداد هذا الكتاب وفقاً لعقد تمّ بين المؤلف وقسم البحث العلمي بجامعة إصفهان برقم ٨٢١٠٢٩ وبتاريخ ١٣٨٢/١٢/٢٧ هـ. ش.

وقد استغرق تدوينه ثلاث سنوات تقريباً، وبعد تصديق محكمي الجامعة على البحث بكامله، قرّرت نشره دائرة النشر بجامعة إصفهان.

منهج الكتاب

قام المؤلف باستخراج الأفعال القرآنية حسب الترتيب الهجائي من الهمزة إلى الياء، ثم بحث عن معاني هذه الأفعال ونوع تعديتها أو لزومها من المعاجم اللغوية والكتب التفسيرية لمفسري السنّة والشيعية، وكتب «إعراب القرآن» و«معاني القرآن»، ثم ذكر معنى الفعل بالفارسية. ومنهج البحث كالآتي:

بداية تمّ استخراج الأفعال القرآنية وما اشتق من كلّ أصل، وتدوينها في ٢٩ باباً حسب الترتيب الهجائي. فإذا كان استعمال الفعل القرآني مقتصرًا على المجرد من الفعل، فقد ذكرت الحروف الثلاثية أو الرباعية الأصلية للكلمة؛ نحو: أبى^١ وزلزل؛ وإن استعمل المزيد من الفعل أيضاً، فقد أتى بالمزيد بعد المجرد مباشرة؛ نحو: أتى^١، وأثر^١ وأثر.

وهناك قسم ثالث من الأفعال حيث لم يستعمل المجرد منها في القرآن الكريم، بل استعمل المزيد منها فقط. ففي هذه الصورة جعلنا أصل الفعل بين القوسين، وهذا يدلّ على عدم استعمال المجرد من الفعل في أي الذكر الحكيم، ثم جيء بالأبواب المزيدة بعد القوسين، وذلك كالآتي: (أسن) أسن، (أنس) استأنس.

وهكذا تمّ العمل في قسم شرح معاني الأفعال. فلو لم نجد استعمال المجرد في القرآن الكريم، ذكرنا معنى الفعل المجرد بين القوسين.

وحُصِّص لكل أصل من الأصول التي استعمل الفعل منها في القرآن الكريم ثلاثة عناوين، هي: «اللغة والمعنى»، «التعدية واللزوم» و«في التنزيل العزيز»، كما نرى في المثال التالي:

اللغة والمعنى: أَبَقَ - إِبَاقًا العَبْدُ: هرب [غلام فرار كرد].

التعدية واللزوم: لازم.

في التنزيل العزيز: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ (الصفافات ٣٧: ١٤٠).^١

اللغة والمعنى

في هذا القسم ذكرنا الحروف الأصلية للفعل، مع ضبط حركته في الماضي والمضارع والوزن المشهور لمصدره، ثم شرحنا الكلمة العربية وترجمناها بالفارسية.

وقد اعتمدنا لشرح الكلمة بالعربية، وتحديد نوع التعدية واللزوم على المعاجم اللغوية الشهيرة المعتبرة نحو: لسان العرب، القاموس المحيط، العين، مجمع البحرين، معجم مقاييس اللغة، والمعجم الوسيط، وبعض الكتب التفسيرية من الشيعة والسنة التي ذكرت بعض الجوانب اللغوية والصرفية، واستخرجنا ما في هذه الكتب في تعدية الأفعال ولزومها. وقد بلغت هذه المعلومات أربعة آلاف صفحة، فأوجزنا واكتفينا بالمعنى المشهور المستعمل في القرآن من الفعل، وحذفنا كل ما زاد على ذلك، وفقاً لأصل الاقتصاد اللغوي، وحذراً من الإطالة، فربّما وُجد للفعل الواحد استعمال في اللغة العربية غير ما ذكرناه، ولكن لم نأت به؛ لأنه غير مُستعمل في القرآن الكريم.

والترجمة الفارسية من المؤلف، وقد تمّ بمراجعة الترجمات الفارسية للقرآن، والمعاجم اللغوية العربية - الفارسية.

التعدية واللزوم

في هذا القسم بعد مراجعة المعاجم اللغوية، ودراسة الاستعمالات الواردة للفعل في القرآن الكريم، ذكرنا بحسب ذلك الاستعمال القرآني للفعل حكماً بشأن تعدية الفعل أو لزومه.

وإن كان الفعل من الأفعال المتعددة الأوجه، فقد حدّدنا تلك الوجوه؛ وإن كان للفعل حكم هامّ من حيث التعدية واللزوم ولم يرد في القرآن ذلك الاستعمال، فقد ذكرناه في الهامش استناداً بالمصادر والمراجع.

في التنزيل العزيز

بعد معرفة الفعل ونوع تعديته ولزومه، يتطلع القارئ إلى أن ينظر إلى الآية أو الآيات التي تتضمن هذا الاستعمال؛ لذلك يتصفّح الباحث كلّ الآيات القرآنية المرتبطة بكل أصل على حدّ سواء من خلال كتاب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم،

١ هذا الفعل استعمل مرة واحدة في التنزيل العزيز.

واكتفينا بإتيان نموذج واحد لكل حالة - لتسهيل الحفظ - وذكرنا اسم السورة ورقمها ورقم الآية بين الهلالين، وذلك كالآتي: (الصافات ٣٧/١٤٠).

وقد ذيلنا الآيات القرآنية بنوعين من الهوامش:

النوع الأول يرتبط بتحديد مستوى تكرار الفعل، وبما أن عدد تكرار الفعل يؤثر في معرفة نوع التعدية واللزوم، عزمنا على أن نشير على الأقل إلى الفعل الذي استعمل مرة واحدة، وذلك بعبارة: «هذا الفعل استعمل مرة واحدة في القرآن الكريم». وهذا الأمر قد يفيد القارئ ليطمئن أن هذا الحكم قد تم الحصول عليه من هذا الاستعمال الوحيد.

وبما أن تحديد عدد استعمال الفعل القرآني وترجمة الأفعال إلى الفارسية يعتبران عند ذوي الخبرة وأصحاب المعرفة بحثاً علمياً مستقلاً، فقد أتينا بهما لتتيمم الفائدة وتكميل الغاية.

أما النوع الثاني من الهوامش فهو ذكر بعض النقاط الهامة المستخرجة من المعاجم القديمة والكتب التفسيرية وإعراب القرآن بشأن نوع تعدية الفعل أو لزمه، مما له أثر في الحكم النهائي للكلمة.

ويوجد في القرآن الكريم أكثر من ٤٧٠ فعلاً غير مكرر درسنا في كتابنا هذا كلها مع ما اشتق منها على حد سواء، ولم نأت بالمركررات رغبة في القراءة وخوفاً من الإطالة.

وفي آخر الكتاب زدنا البحث بفهارس وجداول تشتمل على النتائج الإجمالية حتى يستفيد منها الباحثون. فقد أتينا في جدول «فهرس الأفعال المتعدية واللازمة في القرآن الكريم» بأصل الفعل، ثم سردنا الميزات الصرفية من حيث التعدية واللزوم في عشرة أقسام، وهي:

- ١- لازم، ٢- متعد بنفسه، ٣- متعد إلى مفعولين، ٤- متعد إلى ثلاثة مفاعيل، ٥- متعد بحرف الجر، ٦- متعد بحرفين جارين معاً، ٧- متعد بنفسه وبحرف الجر معاً، ٨- من الأفعال الناقصة، ٩- فيه التضمين، ١٠- هذا الفعل استعمل في التنزيل العزيز مرة واحدة. وأخيراً فقد تم استخراج كل الأفعال المعنوية بكل قسم من هذه الأقسام العشرة في جدول خاص.

النتيجة

مما لا شك فيه أن تدوين المعاجم في اللغة العربية بدأ من العصر الذهبي - أي: العصر العباسي - لما محت الأمية وانتهت الغزوات والغارات وصار العرب متحضرين. فالعلماء قد عُنوا بتأليف كتب قيمة في هذا المضمار، وبما أن القرآن الكريم كان أساساً لتطوير التأليف المعجمي، فقد رأينا من خلال دراسة جمع اللغة ومراحل تطوير المعاجم أن الكثير من هذه المؤلفات دُونت بداعي فهم القرآن وغريبها، وذلك حينما بدأوا يشرحون القرآن باحثين عن معاني الكلمات الغريبة والصعبة، فانتهى الأمر إلى وضع المعاجم التخصصية للقرآن الكريم.

وقد شرحنا باختصار منهج الكتاب الأخير من سلسلة المعاجم التخصصية للقرآن الكريم، وهو كتاب معجم الأفعال المتعدية واللازمة في القرآن الكريم. والله ولي التوفيق.

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم.

١. ابن جنّي، عثمان. (١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م). *سرّ صناعة الإعراب*. (بتحقيق حسن هندراوي). (ط ١). دمشق: دار القلم.
٢. ابن الحاجب، عثمان بن عمر. (١٤٠٤هـ). *الكافية*. الكويت: دار الكتب العلمية.
٣. ابن الخشاب، عبدالله بن أحمد. (١٩٧٢م). *المرئجل في شرح الجمل*. (تحقيق علي حيدر). دمشق: دار التراث.
٤. ابن السراج، محمد بن السريّ. (د.ت). *الأصول في النحو*. بيروت: مؤسسة الرسالة.
٥. ابن عصفور، علي بن مؤمن. (١٤٠٣هـ). *المقرب*. بغداد: وزارة الأوقاف.
٦. ابن عقيل، عبدالله بن عبدالرحمن. (١٩٨٠م). *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك*. (بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد). (ط ٢٠). (ج ١). القاهرة.
٧. ابن مالك، محمد. (١٩٦٧م). *تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد*. بيروت: دار الكاتب العربي.
٨. ابن منظور، محمد بن مكرم. (د.ت). *لسان العرب*. بيروت: دار لسان العرب.
٩. الأردبيلي، محمد بن عبدالغني. (١٩٩٠م). *شرح الأنموذج في النحو*. الرياض: دار العلوم.
١٠. سيبويه، عمرو بن عثمان. *الكتاب*. (تحقيق عبدالسلام هارون). (ج ١). القاهرة: د.ن.
١١. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر. (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م). *الإتقان في علوم القرآن*. (ج ١). (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة.
١٢. المبرّد، محمد بن يزيد. (د.ت). *المقتضب*. (ج ٢). بيروت: عالم الكتب.
١٣. —. (ب.د.ت). *المقتضب*. (ج ٣). بيروت: عالم الكتب.
١٤. —. (ج.د.ت). *المقتضب*. (ج ٤). بيروت: عالم الكتب.
١٥. نجفي، سيدرضا. *الصرف الميسر*. (١٣٨٤هـ.ش). إصفهان: كتابنامه نجف.
١٦. يعقوب، إميل بديع. (١٩٩٢م). *المعاجم اللغوية، بداءتها وتطورها*. بيروت: دار العلم للملايين.